الطريق الى سمرقند

مسرحية للشاعر سعدي يوسف

الاشخاص :

مسافر ١
مسافر ٢
الميت
الفتاة
الساقي
رجل الميليشيا

المشهد الاول

ـ صحراء . سيارة لاندروفر مهيأة لرحلات طويلة . قمر ـ

المسافر ١ : لقد رأيت التل ...
المسافر ٢ : ماذا رأيت ؟ التل ؟
امره أخرى حديث التل ؟
اذهب ،
ونم ،
انا تركناه
من قبل يومين ...
ألا تذكر ؟
المسافر ١ : والميت ؟
المسافر ٢ : دفناه ...
في أسفل التل، وكان القمر الشاهد
وحينما غاب ، تركنا قبره ، حرا ،
بلا شاهد ،
وكنت تبكي، صامتا ، والرمل ينسلُ ،
تحت جفوني ، والصدى ينسلُ ،
والليل ...
ألم تكن قربي ؟
وقلت : ابتدأ الشيء ؟..
المسافر ١ : بلى ...
وحين أتممت حديثي، انفجر الضوء

« يتجه المسافر ٢ يسار المسرح ، ثم يختفي وراء السيارة »

المسافر ١

« يهمهم اغنية وهو ينزل الفراش » :

في المقاصف ، كان رجال الفضاء
يشربون عصير الفواكه .
في المقاصف كانت ثياب النساء
من زهور الفواكه .
في المقاصف كان رجال الفضاء
يدرسون عيون النساء .

صوت

« عن قرب » :

أغنية الليل انتهت ، أم بدأت ؟

المسافر ١

« يلتفت دهشا » :

من أنت ؟
قل من أنت ؟

الصوت

« يقترب » :

أنا الذي ودعته في التل
أنا الذي أودعته الصحراء
تركته يبحث بين الرمل
عن زهرة من ماء
أنا الذي رأيت ما لا يرى
وانني أرى الذي لا يُرى

المسافر ١

« يتجه مترددا ناحية الصوت » :

قد رأيناك أمس تدفن بين الرمل
والشوك والعيون الخفيضة
كنت مسجى على الصخور ، وكانت
زهرة الليل تستقر عريضة
فوق عينيك ،
كنت ميتا حقيقيا ،
وكنا مشيعيك الحزانى
كنت ميتا ، وكان خيرا لك الموت،
وخيرا لنا ...
ألست ترانا ـ
نصل الليل بالنهار ، ونسري نحن،
والوخد ، والنجوم القريبة
لا تشق الحصى خطانا ، ولا تستبق
الريح أغنيات غريبة
نأكل الرمل مشتهى
ونفني الخبز صخرا ،
ونشرب الليل فجرا
فلماذا أتيت ؟
انا لنرضى بك نجما ، وأنت تسكن
قبرا
هذه الصورة النحاس ...
ألا تعرفها ؟

الميت : صورتي ...

المسافر ١ : لقد كنت نجما
كنت نجما من النحاس ، وتبقى
أبدا تسكن النحاس مدمّى
أوليس النحاس خيرا من القتل ؟
أليس النحاس أكثر أمنا ؟
عد الى قبرك المهيأ عند التل ،
عد ،
فالصباح يجري الينا

الميت : ذاهب غير انني
أصل الموت بالحياه
كل ما قد بدأته
بالغ عنف منتهاه
من يحدث ضميره
يلقني .
انني خطاه

« بعد اختفاء الصوت ، يتجه المسافر الى فراشه . الضوء يشحب » .

المسافر ٢

« يدخل من يسار المسرح قرب السيارة . يهمهم اغنية على القيثار » :

سمرقند بين التلال .
ـ لماذا أحبك ؟
شعرك هذا قصير
وثوبك هذا قصير ، قصير
فلو طال شعرك ...
ولو ظل ثوبك ...
ولو صرت لا تكرهين السفر ...
ـ سمرقند بين التلال .
لماذا نحب الوطن ؟
لانك فيه ؟
لان شذى الورد فيه ؟
لان المنائر ليست منائر ؟
أم الغصن اذ يقطع
يعود ، كما كان ، اخضر ، فيه
ـ سمرقند بين التلال .

المسافر ١ « يدخل من يمين المسرح ، يمسك بيد المسافر ٢ بعنف » :

أتسمعني ؟
جاءني الآن ...

المسافر ٢ : من ؟

المسافر ١ : صوته المثقل
برائحة الارض ...

المسافر ٢ : هل عدت تهذي ؟

الميت : أتسمعني ؟ انني أحمل
على كتفي رمال الخليقة، اني بها مثقل
أنوء بها ، غير اني سأبقى
أنوء ، الى أن تجيء يد تحمل .
فهل هاجر الارض عشاقها ؟
وهل نضب الجدول ؟

المسافر ٢ : لماذا تغالط نفسك ؟

انك ميت ...
وان سمرقند ليست بعيده
وانا سنبلغها ، ان اردت وان لم ترد.
عجلات جديده
وخارطة ...
ثم نمضي الدروب العديدات مثل
الليالي العديده
الميت : ولكنني ، انا ، ابتدأت في
ضحاراكم صوره للمدينه
واشجارها .
انا اعلنت ان وراء الرمال صواري
السفينه
المسافر ٢ : بهتت كل صوره
وامحى البحر في الرمال
نحن في كل دوره
نبصر النيل لا المنال
الاعالي هي المدى
والاماني هي الرجال
فلمن ننكر الردى
الما قيل او يقال ؟

المشهد الثاني

« سمرقند . ركن في مقهى حديث جدا »
المسافر ١ : أخيرا سمرقند ...
المسافر ٢ : كنت أظن المدينة
لها قلعة ...
« تدخل المقهى فتاة ، ذات شعر طويل، وثوب ميني ، ومعطف ماكسي »
الفتاة « على البـــار » : كأس نبيذ ابيض بالليمـون
والماء الغازي
المسافر ١ «للثاني» . شمبانيا الفقراء
الفتاة « تلتفت ناحية المسافريـن ، ثم تعود الى جلستها ، متحدثة مع السافـي » :
ارايت مباراة الكاس
في غرناطة ؟
السافـي
« وهو يهيىء الكأس ويقدمه » :
لا ... لا
الفتـــاة
« تلتفت ناحية المسافرين » :
هل شاهد السيدان ؟
المسافر ٢ : لا ، لم نكن في المدينة...
الفتاة : كنتم اذن في القمر ؟
المسافر ٢ : كنا حيارى تحت ضـوء القمر ...
الفتاة : كنتم حيارى داخل المركبة ؟
المسافر ٢ : لا ...
الفتاة : وقلت « كنتم تحت ضـوء القمر » ؟
المسافر ٢ : نعم
الفتاة . لكنما هذا من المستحيل...
فهذه الايام ليل العمر .
المسافر ١ . نعم ...
وكان الرمل تحت الضياء
يلمع .
والتل
يلمع .
والظل
الفتاة « ضاحكة للسافي » :
ثم شرب السيد ؟
السافي . رجاجه ...
الفتاة . فودكا ؟
السافي . عصير تفاح !
« يفتح الباب ، يلتفت المسافر ١ . يدخل الميت ، وينتحي ركنا من المقهى »
المسافر ١
« للثاني » :
ارايت الذي أتى ؟
انه يجلس كالنص في مقاهي الجنود
وجهه التصاحب احواني ...
وعيناه تدوران في مسار بعيد
المسافر ٢
« للاول » :
اتراه مواطنا من سمرقند ؟
« يوجه السؤال الى الفتاة » :
اتراه مواطنا من سمرقنـــد ؟
الفتـــاة
« منلفتة نحـو الميت » :
اتعني اني اراه غريبا ؟
لم اجد مثل وجهه ..
« تلتفت الى السافي » :
أيها السافي ...
اشاهدت مثله في المدينة ؟
الساقـي
« ينعم النظر في الميت » :
عجبا !
ان وجهه كوجوه الناس
لكن عيناه مطفأتان .
انه يبصر الطريق ...
ولكن لا يرى فيه صورة الانسان...
انظروا :
سيدي ...
ألا تشرب القهوة ... خذهـا
« يقدم له القهوة على البار »
الميت :
« يقوم من مجلسه متجها نحـو البار . يتنـاول القهـوة » :
شكرا ...
وماء رجاء ...
المسافـر ١
« مخاطبـا الميت » :
سيدي... هل ابيت هدي المدينه سابحا ؟
الميت : جئت كي تكون جميعا
المسافر ١ : مع من ؟ سيدي ؟
الميت . اتجهل حتى الان ؟
المسافر ١ : عفوا ، عفوا
الميت . اجبني سريعا
هل وصلتم هنا صباحا ؟
المسافر ١ : وصلنا الفجر !
الميت: آ... آ... لقد فهمتم طريقي!
« تخرج الفتاة لتعود بعد هنيهه ومعهـا أحد رجال الميليشيا »
رجل الميليشيا
« يتجه نحو الميت » :
سيدي ...
انهم يريدونك الآن ...
الميت . لماذا ؟
رجل الميليشيا : يا سيدي، لست أدري.
الميت : حسنا ...
فلنقم ...
الى اين ؟
رجل الميليشيا : سيارتهم بانتظاركم.
الميت : من ؟
رجل الميليشيا :
ولكني ، يا سيدي ، لست أدري.
الميت : هكذا الناس في سمرقند ؟
رجل الميليشيا : اني لست منها ...
فانني من بخارى .
الميت : من بخارى ؟
رجل الميليشيا : أجل ،
وكان لنا فيها رصيـــد ومنزل وحديقـة
الميت : عجبا !
رجل الميليشيا : غير انني في سمرقند
الميت : لماذا ؟
رجل الميليشيا : لان أجري أكبر ...
الميت : عجبا !
رجل الميليشيا : سيدي ...
ألا نذهب الآن ؟
الميت : الى أين ؟
رجل الميليشيا : سيدي... لست أدري!
الميت :
« لرجل الميليشيا » :
حسنا ، فلنقم ...
« لنفسه » :
سمرقند ما زالـت ، على عهدها البعيد ، بعيـدة
« يمسك رجـــل الميليشيا بيد الميت . يخرجان »

الجزائر **سعدي يوسف**